هذه الصفحة تقدم اضاءة للقارىء العراقي من الصحافة العالمية ولاتعبر المقالات الواردة فيها بالضرورة عن رأي (المدى)

اسم الكتاب :

موسكو عام ١٩٤١ ..مدينة و سكانها خلال الحرب

نظرة خاطفة على العاصمة السوفيتية خلال احدى المعارك المحورية للحرب العالمية الثانية

بقلم : رودريك بريثوات
ترجمة : المدى

ماذا كان الحال عليه في موسكو ستالين في اكثر اللحظات المشحونة في تاريخ الاتحاد السوفيتي غير الاعتيادي عندما كان الجيش الالماني على بعد اميال من اجتياح المدينة و الذي قد ينتهي بمجزرة في الاغلب.
هذا هو سؤال من اسئلة يطرحها رودريك بريثوايت في كتابه موسكو عام ١٩٤١ وهو وصف اخاذ للحسم الجوهري للجبهة الشرقية و معركة موسكو. والمسألة التي يتعامل معها الكتاب هي اكبر معركة حدثت في الحرب العالمية الثانية التي قاتل فيها سبعة ملايين مقاتل من كلا الطرفيين (مقارنة مع ستالينغراد التي خاضها اربعة ملايين مقاتل) و بمنطقة للعمليات " بحجم فرنسا " و هي قد تكون اكثر معارك الحرب اهمية (فقد عانى النازيون القابعون خارج موسكو اول هزيمة عسكرية لهم). وكتب برايثوايت . بعد ان فشل الالمان باجتياح العاصمة البلشفية بدا ان الفيرماخت (الجيش الالماني) لم يعد لا يقهر ابدا . " و بدأ العديد من الالمان يعلمون في داخل قلوبهم . بانه اذا لم تكن معركة موسكو بداية النهاية . فهي حتما نهاية البداية ".

الا ان برايث وايت و هو السفير البريطاني السابق في الاتحاد السوفيتي. غير مهتم بالالمان او حتى بالجوانب العسكرية للمعارك . بل انصب اهتمامه بكيفية سير الحياة خلال و قبل المعركة تماما . معتمدا على مقابلات مع الجنود و الممرضات و الشهود. و يحافظ الكتاب على الحد الادنى من المناقشات التكتيكية التي تستطيع الغوص عميقا في مستنقع تاريخيات الحرب للقاريء العام. و بدلا من ذلك . يستحضر الكتاب كيف كان الشعور العميق نحو الامور في ذلك المكان و الزمان.
يبدا كتاب موسكو عام ١٩٤١ برؤية للحياة السوفيتية مبتدئاً بعشية رأس السنة لعام ١٩٤٠ (وهي قبل هجوم هتلر مباشرة على الاتحاد السوفيتي مباشرة . عندما كان معظم اهل موسكو مازالوا " يريدون الاعتقاد وبشكل يائس بان البلد سيبقى خاليا من عمليات الذبح الحاصلة في الغرب ". كانت الامور ابعد ما تكون عن المثالية. و بالطبع كانت الصحف مملوءة بعبارت المبايعة والتأييد لستالين مثل "عبقري الجنس البشري. العبقري الاعظم لجميع العصور والشعوب" وكانت العاصمة مليئة بالحشود والفساد السياسي. وعلى الجانب الاخر كانت المسارح تعج وكان مترو الانفاق الكبير قد بني حديثا. وكان يبدو لافيرينتي بيريا (مسؤول جهاز الامن السري) اكثر انسانية من اسلافه السابقين من الشرطة السرية. واستطاع نظام الحكم بناء المدارس وخلق الفرص التعليمية و فرص العمل . على الرغم من الهمجية (للحماسة الاصيلة) للثروة الروسية المتعلقين بها هنا في موسكو " مدينة الفرص في البلد الاول للاشتراكية ".
ومن خلال هذا العالم المتلهف و الديناميكي انتهت هذه المعركة في ٢١ حزيران عام ١٩٤١ بنفس الطريقة التي دخلت فيها القوات الالمانية الحدود السوفيتية (كما تدخل السكين قالب الزبد). سيكون الزائرون للاتحاد السوفيتي معتادين على الخطابات البلاغية والنشرات الحماسية التي تصف حربا ما زالت تعيش في المخيلة الشعبية " صورت التماثيل الوحشية . الشجاعة الشعبية و اللحظات الحزينة في تعظيم " المدن البطلة " للامبراطورية الضائعة.
هل كان في نية برايثوايت الواضح اعجابه بالسوفيت ان يظهر للقاريء ماذا تعني حقيقة عبارات مثل " بسالة " و" بطولة " ؟. فنحن نرى اعتقال مدنيين يقتادون وببطولة غامضة تقريبا للتطوع (ويتم ضربهم بالسوط مرات عديدة) وترسل حتى الفتيات اللواتي يعانين نقص التغذية لحفر الخنادق و قطع الحطب. وفي مرحلة ما يظهر لنا الكاتب مجموعة من ممثلي مسرح البولشوي و هم يحفرون خندقا في ضواحي المدينة. فعندما يقترح عضو في الحزب الشيوعي الروسي شيئا . فعلى الاخرين تنفيذه بخضوع . الا انهم يقابلونهم بالهجوم قائلين : " ما هذا هل اخذتمونا كاننا فارون من الجندية ؟ " و هكذا تحدث الاحتكاكات بينهم في بعض الاحيان لكنها تذهب سدى و احيانا تبدو وكانها محاولات انتحارية. ومن اللافت للنظر هو ان الكاتب حريص ايضا ان يعطي النخبة الستالينية حقها . فرئيس موسكو اليكساندر شبيرباكوف على سبيل المثال قد يكون رجل ستالين . الا انه كان مديرا لا يعرف الكلل . و الذي انتحر كما يبدو في محاولة للملمة المدينة وعدم تمزيقها. وسقط ميتا في ٩ ايار عام ١٩٤٠ في (يوم النصر).
لم يكن كل شيء مقدرا كما هو واضح . فخلال ذعر شهر تشرين الاول في الوقت الذي كان يبعد النازيون عن موسكو ١٥ ميلا فقط . سبح هواء المدينة بالرماد عندما احرق اعضاء الحزب وثائقهم التعريفية. كما اغتنم السلاب الفرصة لسلب المخازن و البيوت المتروكة . " وامتلات السيارات بموظفي الطبقة الوسطى و بنفائسهم المنزلية ". بينما يمر من جانبهم المواطنون الفقراء وهم يحثون الخطى سيرا الى خارج المدينة. وجلدت زمر من العاملين رؤساءهم المنهارين بالسوط. وإضافة الى فوضى الحرب (سادت المتناقضات في الفوضى التي عمت السلطة السوفيتية في نظام كانت تترك فيه المبادرات للموظفين و كانت المعلومات تحفظ بشكل جيد و كان من الصعوبة القيام بالاعمال بشكل صحيح) جابه جهاز الامن بالطبع هذه الفوضى باساليبهم الشخصية بالتخلص من الاعضاء غير المرغوب فيهم بالحزب بالسجن و القتل.
انه كتاب رائع عن معركة كانت على الرغم من انها جلبت اهتماما اقل من اخرياتها مثل ستالينغراد وكورسك (كانت في الواقع المعركة الاكبر في تاريخ العالم). وهو ايضا اضافة ممتازة لسلسلة الكتب الحديثة المكتوبة باللغة الانكليزية و التي تستحضر للقاريء الغربي كيف كانت مجريات التجربة السوفيتية التي مارسها اناس من مختلف الطبقات الاجتماعية.
❖يعيش الكاتب في كييف. اوكرانيا

عن/دار نشرنوف

لا تزال رواية أرنست هيمنغواي و ليمة متنقلة مقبولة

بقلم جوناثان باردلي
ترجمة : نعم فؤاد

في وقت ما من عام ١٩٦٠ . انهى هيمنغواي كتابة مذكراته لايامه في باريس من عام ١٩٢١ الى عام ١٩٢٦ . و كتب توطئة بثلاثة مقاطع قائلا فيها : " اذا رغب القارئ . فباستطاعته اعتبار هذا الكتاب على انه خيال . الا ان الفرصة سانحة دائما بان يكون كتاب كهذا خيالياً. وقد يلقي بعض الضوء على ما كتب على انه واقع " . الا انه لم يقدم النص للنشر . و توفي السنة التالية بعد انتحاره بعمر الواحد و الستين في مزرعته في ايدوا .

وبعد ثلاث سنوات نشر النص تحت عنوان " متعة متنقلة " و يبدو ان العنوان قد اختير من قبل ماري ارملة هيمنغواي التي استحضرت كلمات كتبها هيمنغواي لصديق عام ١٩٥٠ قائلا : " اذا كنت محظوظا كفاية لتعيش في باريس وانت شاب يافع . فعندها ستبقى معك باريس في اي مكان تذهب اليه حتى بقية عمرك . فباريس متعة متنقلة " . ان هيمنغواي نفسه اراد تأجيل نشرها ما دام الاشخاص المذكورون فيها على قيد الحياة (على الرغم من ان عاطفة كهذه ليست من شيمه) الا ان الشرط الاساسي النهائي للنص و نبرة التوطئة التي كتبها . اشارت الى انه كان يريد اظهارها عاجلا ام اجلا .
كان هذا العمل الاول للعديد من الاعمال التي نشرت بعد وفاة هيمنغواي و التي سمحت لماري هيمنغواي (او بصورة ادق شجعتها اكثر). لكن لم تستطع اي واحدة منها تحسين شهرة زوجها. برغم انه من المفترض انها قد عززت مكانة هيمنغواي المالية . ان " متعة متنقلة " هو عمل استثنائي ملحوظ . وقد ميز الناقدون لهذا الكتاب على انه اضافة قيمة لميراث مؤلفها الادبي والتهمها القراء مباشرة و مازالوا كذلك . فهي تتمتع بميزة البيع الدائم وغالبا ما تدرس في المدارس و الجامعات .
اتذكر جيدا يوم نشرها عام ١٩٦٤ اولا في مجلة " لايف " (التي استمرت بالقيام بنشر كتب مثل هذا الكتاب في تلك الايام الغابرة) و من ثم نشر بعدها هذا العمل ككتاب . لقد كنت في منتصف العشرينيات من عمري و بدات حينها امتلك افكاراً اخرى عن معظم روايات هيمنغواي وتحفظاً دفينا حول اشخاص رواياته المفروضة باسلوب ادبي . لكني افضل قصصه القصيرة و التي ما زالت تبدو لي روائع ادبية صغيرة . و مثل معظم الشباب الامريكي في مثل هذا الوقت كنت اعبد اسلوب هيمنغواي النثري الشهير الا اني على الرغم من ذلك لم اقم باي محاولة لمحاكاته . فانا اعلم بانه اسلوب فريد في الادب الامريكي و اؤمن ان هذا الاسلوب مهم بشكل بارز .
ان القول بان حكمي قد تغير نتيجة مرور اربعة عقود هو تصريح خاطيء يصور الفكرة على نحو اضعف . لقد بدأت اعتبر اسلوب هيمنغواي على انه اكثر وعيا للذات و السلوك . اكثر من كونه نقيا واعلانيا و استثنائياً . لقد ادركت هذا من خلال كل كتاباته تقريبا . فهو يملك القليل من الاهتمام للبوح بما لديه (اصبحت اشمئز من مسحات هيمنغواي السيئة للشخصية والسلوك الذي هو اكثر منه وعيا للذات و صفاتها ولصفة الوضاعة التي غالبا ما تتحول الى قسوة وانانية). وفي ما يخص " متعة متنقلة " ففي نهاية الستينيات و مرة اخرى في السبعينيات . بدأت افهم من بعض المقاطع (تلك التي تتناول جيرترود ستين و فورد مادوكس فورد و خاصة اف. سكوت فيتزجيرالد) انها كريهة بشكل لا يغتفر. وبدأت افهم ايضا ان عمل مورلي كالغان " الصيف في باريس " الذي نشر عام ١٩٦٣ كان كتابا افضل عن نفس الوقت و المكان . و هذا العمل ليس ادنى من سابقه لان كالغان كان رجلا افضل من هيمنغواي . فهو اكثر قدرة على الاحتمال و مولع بعيوب الناس الاخرين .
لكن احتفظت " متعة متنقلة " بسحر لا يمكن مقارنته كان من الامتياز لنا ان نكون قادرين على قراءة شيء عن ذلك الوقت في باريس في كلمات احد اهم المهاجرين الادبيين التي بقيت كذلك حتى هذا اليوم. وعند قراءتي " متعة متنقلة " للمرة الرابعة (وفي الاغلب ليست القراءة الاخيرة) اصطدمت بالكم الهائل من الاراء التي مازالت مقبولة لدي. في الواقع من الممكن الاعجاب بهيمنغواي عندما لعب مع ابنه الصغير وقطته ومناديهما بشغف بمبي و اف بوس. كما تكلم و سافر مع هادلي . اولى زوجاته الاربع والوحيدة التي احبها على ما يبدو . كما تبادل النميمة و القصص مع اصدقائه و منافسيه في الوقت الذي نبش فيه لحظات قديمة لشرب الكحول في المقاهي و المطاعم في باريس (عندما كان يستطيع دفع ثمنه) .
كان وقتا شهيرا . وهو الان مجسم و بعمق في ذاكرة الاسطورة الامريكية . ومعظم الاسطورة في الاغلب هي خيال مزخرف بعاطفة الحنين الى الوطن من اولئك الناس القلائل الذين كانوا في باريس . حنين هؤلاء البعض الذين كانوا يتمنون لو كانوا في الوطن . اما في حالة هيمنغواي الخاصة . فهو الحنين الذي شعر به لايام الذروة في كتاباته . وفي السنين الاخيرة من حياته تخلت موهبته الخلاقة عنه بشكل تام (و كانت كل هذه الروايات المولودة بعد وفاة صاحبها مريعة تماما . و التي ستسبب الخجل الذي سيؤدي بصاحبها الى رفض نشرها و احراقها) . و قد افتقد هذه المواهب و بشكل كبير . لذا نجده يكتب هنا و بشكل فخور و محبب للسنوات التي افتقد فيها المال لكنه لم يفقد فيها الطاقة و العزيمة :

" كان من الممتع السير قدما على الدكات العريضة للسلالم عالما بانني املك عملا محظوظا. لقد كنت دائم العمل حتى انجز شيئا . و كنت دائم التوقف عندما اعلم ما سيحدث بعدها . و لهذا السبب كنت واثقا من الاستمرار في اليوم التالي . لكن وفي بعض الاوقات عندما اهم البدء بقصة جديدة و لااستطيع اكمالها . اجلس امام النار و اعصر قشرة ثمرة البرتقال الصغيرة على حافة اللهب . و اشاهد الفرقعة الزرقاء التي تحدثها . كنت اقف و انظر الى سقوف باريس و افكر . " لا تقلق لقد كنت تكتب دائما في السابق و سوف تكتب الان . كل ما عليك فعله هو كتابة جملة حقيقية واحدة . اكتب الجملة الموثوق بها التي تعرفها " و اخيرا توجب علي كتابة جملة حقيقية واحدة و استمر بالكتابة من عندها ..... و بعدها اذا بدأت الكتابة بشكل موسع ..... اجد ان باستطاعتي انهاء هذه الزخرفة و رميها بعيدا و البدء بالجملة الحقيقة الاستهلالية البسيطة الاولى التي كتبتها . وفوق في تلك الغرفة قررت ان اكتب قصة واحدة عن كل شيء اعرفه . كنت احاول القيام بهذا طوال الوقت الذي كتبت فيه . و كان تدريبا جيدا و قاسيا " .
وكما يبدو فان هيمنغواي يستسلم للعاطفة في هذا المقطع الشهير . و اصبحت عبارة " جملة صادقة واحدة " مملة عبر السنين . الا ان ما وصفه هيمنغواي حقيقي و اساسي. فعلى الرغم من ان الشخص قد يشعر تجاه الاسلوب الادبي الذي انبثق من هذه الفترة المؤخرة انها اتسمت بالانضباط الذاتي و نكران الذات . الا ان لا جدال في الجدية التي عرضها هيمنغواي او التفاني و الاخلاص الذي جلبه للنص . هذه الحرفية كانت صعبة بلا شك . فقد كتب : " انا اعلم ان القصص كانت جيدة وسينشرها اخيرا احد ما في الوطن و لكنه اضاف : " عندما توقفت عن القيام بالاعمال الصحفية كنت على ثقة ان القصص كانت في طريقها الى النشر . الا ان كل عمل ارسلته عاد الي " .
كانت عائلته الصغيرة غالبا ما تصبح جائعة . ومال هيمنغواي في خمسينيات عمره الى جعل هذه الفترة عاطفية واصفا اياها بالقول: "عندما تكون في الخامسة والعشرين و بوزن طبيعي ثقيل. سيجعلك افتقادك وجبة جائعا جدا . الا انها تجعل وجهة نظرك حادة". هذه الصورة حقيقية بصورة كلية. ولابد من انها كانت فترة ذات صعوبة مفرطة على هادلي التي تبدو انها تملك صبرا لا قرار له و معنويات عالية. وما اذا صور هيمنغواي انه قد استطاع ان يفعل ذلك من دونها. فهذا سيثير التساؤل في اقل تقدير .
لا يتردد صدى الامتنان الذي يعبر عنه هيمنغواي في اي عمل اخر . فكانت احدى ادنى سمات هيمنغواي غير المحببة والمثيرة انه انقلب تقريبا ضد كل شخص ساعده . و لانجد هذا الاستثناء الا في " المتعة المتنقلة " الذي استثنى هادلي و سلفيا بيتش صاحبة مكتبة الضفة الغربية الشهيرة و شركة شيكسبير . اما فورد مادوكس فورد الذي ساعده بانجاز طباعة اعماله الاولى فقد صرفه هيمنغواي لانه شخص" ثقيل الدم و مبتذل و خسيس " . و فضل الكتابة في البداية عن جيرتود ستين " التي شجعته ايضا في حرفته " الا انه انقلب عليها بحدة عندما اكد في محاورة مسموعة على انها شاذة قائلا : " انها تبدو كامبراطور روماني و هذا جيد اذا احببت ان تكون امرأتك من الاباطرة الرومان " .
يرعب الشذوذ الجنسي هيمنغواي . ربما لانه يخافه في قرارة نفسه . كما استعمله كسلاح حقيقي و خيالي ضد الاخرين ولكن لم يكن تأثير هذا الاسلوب اكثر وحشية منه ضد سكوت فيتزجيرالد الذي كان سخيا بشكل يفوق المعقول مع هيمنغواي و موجها مديحه لمحرره الخاص الشهير ماكسويل بيركينس الذي سرعان ما تنكر لهيمنغواي . لكن عندما التقى الكاتبان في باريس . شاهد هيمنغواي فيتزجيرالد على انه : " رجل لكن يبدو كولد بسبب وجهه الذي يتأرجح بين وسامة الرجال و جمال الفتيات ..... وشفتان رقيقتان طويلتان لفم ايرلندي . لو كان في وجه فتاة لكان فما جميلا " ثم سل الخنجر قائلا : " الفم يقلقك جدا حتى تعرفه . فيبدأ بعدها يقلقك اكثر " و يقول ايضا في وصف فيتزجيرالد : " كان ساخرا ومضحكاً ومبهجاً وساحراً ومحببا اليك حتى اذا كنت حريصا ألا يكون هناك شخص محبب اليك " .
الا ان الامور اصبحت اكثر سوءا و اتخذت اتجاهين شهيرين الاول باقناع فيتزجيرالد المخمور لهيمنغواي بمساعدته باصلاح سيارة مهجورة. و الثاني هو سؤال فيتزجيرالد العصبي لهيمنغواي ليثبت ان ادواته واسعة بما فيه الكفاية لاقناع امرأة. و في كلا المشهدين نرى ازدراء هيمنغواي المكثف تجاه فيتزجيرالد صريح و غير جذاب بالمرة . نعم لقد قام خلال السنين ببعض الاعمال الكتابية الجيدة (قصص نيك ادمز " الحياة القصيرة السعيدة لفرانسيس اكومبير" و"ثلوج كليمنجارو" و"مكان نظيف و جيد الاضاءة") وهناك الكثير من كل هذا في " المتعة المتنقلة " .
فهي تذكرنا على الرغم من ذلك كيف ان هيمنغواي كان ضاغنا و غير وفي و عديم الشفقة بشكل واضح .

عن صحيفة الواشنطن بوست